عبرة لأولى الألباب

أ . د / علي البحراوي

عميد كلية اللغة العربية

ورئيس قسم البلاغة والنقد

والمشرف على قسم الصحافة والإعلام

جامعة الأزهر - القاهرة

- سابقاً -

وعميد كلية الدراسات الإسلامية والعربية

للبنات بالمنصورة

الممسوحة ضوئيا بـ CamScanner

عبرة لأولى الألباب

مع القصص الحق :

تعتمد القصة الأدبية فى جوهرها على خيال كاتبها واتساع ثقافته والمجالات التى يكتب من أجلها قصته . وقد تكون القصة واقعية . حصلت أحداثها فى واقع الناس . ويضفى عليها الخيال شيئاً من التأثير والجاذبية . وقد تكون القصة من صنع الخيال بدءاً وانتهاء ولا غرابة فى هذا فى القصة الأدبية . ما دامت مثيرة وممتعة . وتقوم على خيال مقبول .

أما قصص القرآن الكريم والقصص الذى جاء على لسان خاتم النبيين ﷺ فحقائق تاريخية ثابتة وما فيها من عظات وعبر اكثر مما لدى القصاص الأدباء من جاذبية وتأثير . وأبرز سماتها الإعجاز !! (القصة القرآنية) وهذه واحدة من قصص القرآن الكريم التى قال الله تعالى عنها :

﴿ إِنَّ هَذَا لَهُوَ الْقَصَصُ الْحَقُّ﴾ (١) وقال تعالى :

﴿ إِنْ الْحُكْمُ إِلاَّ لِلَّهِ يَقُصُّ الْحَقَّ وَهُوَ خَيْرُ الْفَاصِلِينَ﴾ (٢)

وقال عن قصص الأنبياء عليهم السلام :

١- سورة آل عمران : آية ٦٢ .
٢- سورة الأنعام : آية ٥٧ .

الممسوحة ضوئيا بـ CamScanner

﴿ لَقَدْ كَانَ فِي قَصَصِهِمْ عِبْرَةٌ لأُوْلِي الأَلْبَابِ مَا كَـــانَ حَدِيثًـا يُفْتَرَى وَلَكِنْ تَصْدِيقَ الَّذِي بَيْنَ يَدَيْهِ وَتَفْصِيلَ كُلِّ شَـــيْءٍ وَهُـدًى وَرَحْمَةً لِقَوْمٍ يُؤْمِنُونَ﴾ (١) .

مع يوسف عليه السلام :

إن مأساة نبى الله تعالى يوسف وأبيه يعقوب عليهما وعلى نبينا الصلاة والسلام . من أكثر المآسى التى عرفتها البشرية تأثيراً وأوفاها بالعظات والعبر . فقد استغرقت قرناً على وجه التقريب ! وزمان القصة . عهد هذين النبيين الكريمين عليهما السلام . ومكانها مصر والشام . وأبطالها يوسف عليه السلام وإخوته الأحد عشر . وقد ولد عشرة منهم لغير أمه . فهم إخوة لأب فقط وشقيقه هو الأخ الحادى عشر فقط !! والمأساة فى القصة ذات فصول متعددة . فيوسف عليه السلام يتعرض لمأساة حقد اخوته عليه الذى تصاعد إلى درجة التآمر على قتله . وباشروا القتل عملياً . ولكن الله أنجاه عليه السلام .

ويتعرض لمأساة الرق . ويباع النبيون فى سوق الرقيق . ثم يتعرض هذا الطاهر المعصوم لفتنة المرأة التى راودته وهو فى بيتها عن نفسه وغلقت الأبواب وقالت هيت لك !! قال : معاذ الله إنه ربى أحسن مثواى . إنه لا يفلح الظالمون .

ويتعرض لمأساة السجن بلا ذنب ولا جريرة فلبث فى السجن بضع سنين وتعرضت المأساة لأبيه .

١- سورة يوسف : آية ١١١ .

الممسوحة ضوئيا بـ CamScanner

﴿ وتولى عنهم وقال يا أسفى على يوسف وابيضت عيناه من الحزن فهو كظيم﴾ واسلمت المأساة لأخيه الشقيق . ولأبويه معا . قال تعالى : ﴿ ورفع أبويه على العرش وخروا له سجدا وقال يا أبت هذا تأويل رؤياي من قبل قد جعلها ربي حقا وقد أحسن بي إذ أخرجني من السجن وجاء بكم من البدو من بعد أن نزغ الشيطان بيني وبين إخوتي إن ربي لطيف لما يشاء إنه هو العليم الحكيم﴾ .

وأما مشاهد القصة فقد تتابعت على نحو معجز مثير لا يتوفر في غير القرآن الكريم . في قصصه وأخباره . وكل آياته .

﴿ لا يأتيه الباطل من بين يديه ولا من خلفه تنزيل من حكيم حميد ﴾ .

الممسوحة ضوئيا بـ CamScanner

أحداث القصة

رؤيتان :

تبدأ أحداث هذه القصة القرآنية المليئة بالعجائب والغرائب والعظات والعبر لأجيال البشر منذ حدثت وإلى الآن وما بعد الآن وإلى الأبد . برؤيا منامية يراها يعقوب بن إسحق بن ابراهيم عليهم السلام . إذ يرى أن أحب أبنائه إليه (يوسف عليه السلام) يتعرض لهجمة قاتلة من عشرة ذئاب ضارية . تحيط به إحاطة السوار بالمعصم . ولولا لطف الله به لافترسته الذئاب العشرة أو بعضها فقط . فيهب يعقوب من نومه مذعوراً يبحث عن يوسف عليهما السلام . ويبحث عن تأويل رؤياه .

وبعد قليل من رؤيا يعقوب . يستيقظ يوسف من نومه مسروراً يبحث عن أبيه . ثم يقول : ﴿ يَاأَبَتِ إِنِّي رَأَيْتُ أَحَدَ عَشَرَ كَوْكَبًا وَالشَّمْسَ وَالْقَمَرَ رَأَيْتُهُمْ لِي سَاجِدِينَ﴾ ويفكر النبي الكريم يعقوب عليه السلام : ﴿ قَالَ يَابُنَيَّ لاَ تَقْصُصْ رُؤْيَاكَ عَلَى إِخْوَتِكَ فَيَكِيدُوا لَكَ كَيْدًا إِنَّ الشَّيْطَانَ لِلْإِنسَانِ عَدُوٌّ مُبِينٌ﴾ ثم يخبره بما سيجود الله تعالى عليه من نعم فيقول : ﴿ وَكَذَلِكَ يَجْتَبِيكَ رَبُّكَ وَيُعَلِّمُكَ مِنْ تَأْوِيلِ الْأَحَادِيثِ وَيُتِمُّ نِعْمَتَهُ عَلَيْكَ وَعَلَى آلِ يَعْقُوبَ كَمَا أَتَمَّهَا عَلَى أَبَوَيْكَ مِنْ قَبْلُ إِبْرَاهِيمَ وَإِسْحَاقَ إِنَّ رَبَّكَ عَلِيمٌ حَكِيمٌ﴾ .

الممسوحة ضوئيا بـ CamScanner

حسد إخوته : الجب . الرق :

وعلم اخوة يوسف برؤيا أخيهم . فحقدوا عليه أشد الحقد . وتوقعوا له ارتقاء لن ينالوا معشاره !! فصمموا على الخلاص منه فقال بعضهم لبعض ﴿ لَيُوسُفُ وَأَخُوهُ أَحَبُّ إِلَى أَبِينَا مِنَّا وَنَحْنُ عُصْبَةٌ إِنَّ أَبَانَا لَفِي ضَلَالٍ مُبِينٍ اقْتُلُوا يُوسُفَ أَوِ اطْرَحُوهُ أَرْضًا يَخْلُ لَكُمْ وَجْهُ أَبِيكُمْ وَتَكُونُوا مِنْ بَعْدِهِ قَوْمًا صَالِحِينَ﴾ وعجيب تفكير الحاسدين . وإلا . فكيف يكون القتل أو النفى طريقا إلى التقى والصلاح ؟!!

وتحرك قلب واحد منهم بعاطفة الأخوة . فقال لأخوته :

﴿ لاَ تَقْتُلُوا يُوسُفَ وَأَلْقُوهُ فِي غَيَابَةِ الْجُبِّ يَلْتَقِطْهُ بَعْضُ السَّيَّارَةِ إِنْ كُنتُمْ فَاعِلِينَ﴾ وهى أيضا عاطفة مريضة والمرض على درجات !! ثم مضوا إلى أبيهم مخادعين . فـ ﴿ قَالُوا يَاأَبَانَا مَا لَكَ لاَ تَأْمَنَّا عَلَى يُوسُفَ وَإِنَّا لَهُ لَنَاصِحُونَ ،أَرْسِلْهُ مَعَنَا غَدًا يَرْتَعْ وَيَلْعَبْ وَإِنَّا لَهُ لَحَافِظُونَ﴾ وأحس أبوهم بغليان الحقد فى قلوبهم على أفضل فتى فيهم فقال : ﴿ إِنِّي لَيَحْزُنُنِي أَنْ تَذْهَبُوا بِهِ وَأَخَافُ أَنْ يَأْكُلَهُ الذِّئْبُ وَأَنْتُمْ عَنْهُ غَافِلُونَ﴾ . فعاد الحاسدون كعادة كل حاسد يحاول الخداع ﴿ قَالُوا لَئِنْ أَكَلَهُ الذِّئْبُ وَنَحْنُ عُصْبَةٌ إِنَّا إِذًا لَخَاسِرُونَ﴾ ولم يقتنع أبوهم بما قالوا . ولكنه رغب فى إصلاحهم فسلم إليهم أعز

الممسوحة ضوئيا بـ CamScanner

أبنائه . على تخوف شديد !! وسلام على المرسلين والحمد لله رب العالمين .

وسار الحاسدون بأخيهم بعد أن أوصاهم به أبوهم . ووعدوه بأن يكونوا أمناء مع أبيهم وأخيهم . وما أن ابتعدوا عن أعين والدهم حتى أوسعوا أخاهم عليه السلام ضرباً وركلاً . وطرحوه أرضاً مراراً . وحاول يوسف عليه السلام أن يستدر عاطفة الأخوة فى قلوبهم ولكن هيهات . فقد مزقها الحسد !! فحاول ثانية أن يذكر أخاه الأكبر بالعهد الذى قطعه على نفسه أمام أبيه . فلطمه على وجهه لطمة أذهلته . وقال ادع الشمس والقمر والأحد عشر كوكباً لتحميك الآن . إنها لحظات من الرعب المميت على فتى حول العاشرة من عمره !! عليه وعلى نبينا أزكى الصلاة وأتم السلام .

وأخيراً اتفق الأخوة الحاسدون ﴿ وَأَجْمَعُوا أَنْ يَجْعَلُوهُ فِي غَيَابَةِ الْجُبِّ﴾ فألقوه فيه فجاءه ملك الوحى جبريل عليه السلام وبعث الله تعالى إليه الأمن والأمان ﴿ وَأَوْحَيْنَا إِلَيْهِ لَتُنَبِّئَنَّهُمْ بِأَمْرِهِمْ هَذَا وَهُمْ لاَ يَشْعُرُونَ﴾ .

دموع التماسيح :

﴿ وَجَاءُوا أَبَاهُمْ عِشَاءً يَبْكُونَ﴾ بدموع التماسيح !! فسألهم أبوهم . هل أصبتم فى أغنامكم ؟ أين يوسف ؟ فازداد انهمار دموع التماسيح و ﴿ قَالُوا يَاأَبَانَا إِنَّا ذَهَبْنَا نَسْتَبِقُ وَتَرَكْنَا يُوسُفَ عِنْدَ مَتَاعِنَا فَأَكَلَهُ الذِّئْبُ وَمَا أَنْتَ بِمُؤْمِنٍ لَنَا وَلَوْ كُنَّا صَادِقِينَ﴾ .

الممسوحة ضوئيا بـ CamScanner

وذبحوا سخلة ولطخوا قميص يوسف بدمائها ﴿ وَجَاءُوا عَلَى قَمِيصِهِ بِدَمٍ كَذِبٍ قَالَ بَلْ سَوَّلَتْ لَكُمْ أَنفُسُكُمْ أَمْرًا فَصَبْرٌ جَمِيلٌ وَاللَّهُ الْمُسْتَعَانُ عَلَى مَا تَصِفُونَ﴾ .

مكث يوسف عليه السلام فى البئر أياماً . يعانى من الظلام الدامس . والبرد القارس . وفقد النوم تماماً لمدة ثلاثة أيام . وإخوته الحاسدون يراقبون الجب عن كثب . دون أن تتحرك عاطفة الرحمة أو الأخوة فى قلوبهم ... فهى كالحجارة أو أشد قسوة .

نبى كريم فى سوق العبيد :

وجاءت قافلة تجارية ﴿ فَأَرْسَلُوا وَارِدَهُمْ فَأَدْلَى دَلْوَهُ﴾ فى البئر - فأمسك يوسف بحبل الدلو . فأخرجه صاحب الدلو وهو يظن أن الدلو قد امتلأ حتى النهاية . فلما رآه رأى الشمس فى وضح النهار فاستولى عليه السرور ﴿ قَالَ يَا بُشْرَى هَذَا غُلَامٌ﴾ يا له من فتى رائع الجمال !! وبسرعة خاطفة جاء الحاسدون وقالوا لصاحب الدلو . هذا عبدنا هرب منا !! وأرهبوا يوسف قائلين له فى سرية إما أن تعترف وتقبل العبودية ونبيعك له . وإما أن نأخذك إلى القتل مباشرة . فقبل يوسف عليه السلام مأساة العبودية !! وبيع نبى الله تعالى كما يباع العبيد !! ولا حول ولا قوة إلا بالله العظيم .

فهل من مدكر ...

فقال صاحب الدلو . يا قوم . الفتى ما سمته بسمت العبيد !! قالوا : إنه ربى بيننا فتخلق بأخلاقنا . ﴿ وَأَسَرُّوهُ بِضَاعَةً وَاللَّهُ عَلِيمٌ

الممسوحة ضوئيا بـ CamScanner

بِمَا يَعْمَلُونَ وَشَرَوْهُ بِثَمَنٍ بَخْسٍ دَرَاهِمَ مَعْدُودَةٍ وَكَانُوا فِيهِ مِنْ الزَّاهِدِينَ﴾ وما هى إلا أيام حتى وصلت القافلة إلى مصر . فبيع يوسف عليه السلام ثانية فى سوق الرقيق !! وهكذا تتوالى المآسى على غلام دون البلوغ ويتحملها عليه السلام بعزم نبوى كريم لا يكل ولا يستكين !! وَقَالَ الَّذِي اشْتَرَاهُ مِنْ مِصْرَ (عزيزها) لامرأته أَكْرِمِي مَثْوَاهُ عَسَى أَنْ يَنفَعَنَا أَوْ نَتَّخِذَهُ وَلَدًا - فقد كان عقيماً - وألقى الله تعالى على قلبه محبة الفتى الرقيق .

المرأة فى أمكر وأنكر حالاتها :

ولما بلغ مبلغ الرجال وبدا عليه جمال الرجولة هامت به امرأة العزيز وراودته عن نفسه باحتيال أنثوى رهيب : ﴿ وَرَاوَدَتْهُ الَّتِي هُوَ فِي بَيْتِهَا عَنْ نَفْسِهِ وَغَلَّقَتْ الأَبْوَابَ وَقَالَتْ هَيْتَ لَكَ قَالَ مَعَاذَ اللَّهِ إِنَّهُ رَبِّي أَحْسَنَ مَثْوَايَ إِنَّهُ لاَ يُفْلِحُ الظَّالِمُونَ﴾ إنها صورة بغيضة للمرأة فى أنكر حالة من حالاتها !! جرى يوسف بعيداً عنها فراراً من الفحشاء . فلما كاد يفتح الباب شدت قميصه من الخلف فقدته !! بعد أن التهب فى شغاف قلبها سعار الهوى كما قال الشاعر : يصور جناية الجمال أحياناً على صاحبه :

وكم رمت قسمات الحسن صاحبها وأتعبت قصبات السبق حاويها

وزهرة الروض لولا حسن منظرها لما استطالت عليها كف جانيها

الممسوحة ضوئيا بـ CamScanner

وقال : يصور سعير الهوى عند قرب الحبيب واستحالة الوصول إليه :

وأشد ما لقيت من ألم الجوى قرب الحبيب وما إليه وصول

كالعيس في البيداء يقتلها الظمأ والماء فوق ظهورها محمول

وانفتح باب القصر وكان العزيز أمامه ويبدو أنه هو الذى فتح الباب ! ﴿ وَاسْتَبَقَا الْبَابَ وَقَدَّتْ قَمِيصَهُ مِنْ دُبُرٍ وَأَلْفَيَا سَيِّدَهَا لَدَى الْبَابِ قَالَتْ مَا جَزَاءُ مَنْ أَرَادَ بِأَهْلِكَ سُوءًا إِلاَّ أَنْ يُسْجَنَ أَوْ عَذَابٌ أَلِيمٌ﴾ لم تطلب له قتلا . وإنما طلبت له سجنا أو تعذيبا ! .... ونظر العزيز إلى يوسف بغيظ واستنكار . ﴿ قَالَ هِيَ رَاوَدَتْنِي عَنْ نَفْسِي﴾ . وردت التهمة عليه ثانية !! ﴿ وَشَهِدَ شَاهِدٌ مِنْ أَهْلِهَا ﴾ راجح العقل بعيد النظر - ﴿ إِنْ كَانَ قَمِيصُهُ قُدَّ مِنْ قُبُلٍ فَصَدَقَتْ وَهُوَ مِنْ الْكَاذِبِينَ وَإِنْ كَانَ قَمِيصُهُ قُدَّ مِنْ دُبُرٍ فَكَذَبَتْ وَهُوَ مِنْ الصَّادِقِينَ ﴾ فتأمل العزيز . وعرف الحقيقة وقال لزوجه ! ﴿ إِنَّهُ مِنْ كَيْدِكُنَّ إِنَّ كَيْدَكُنَّ عَظِيمٌ ﴾ .

وطلب من يوسف ألا يذكر هذا الذى حصل لأحد أبدا . وطلب من زوجته الاستغفار لذنبها لأنها كانت من الخاطئين !! ولكن القصة ذاعت وانتشرت عن طريق رجالات القصر (الساقى والخباز والحاجب والجنود) وغيرهم .. وتناولت هذه القصة المشينة النساء . وشهرن بامرأة العزيز .﴿ وَقَالَ نِسْوَةٌ فِي الْمَدِينَةِ

امْرَأَةُ الْعَزِيزِ تُرَاوِدُ فَتَاهَا عَنْ نَفْسِهِ قَدْ شَغَفَهَا حُبًّا إِنَّا لَنَرَاهَا فِي ضَلَالٍ مُبِينٍ﴾ ! علمت زليخا بأقاويل النسوة ﴿ فَلَمَّا سَمِعَتْ بِمَكْرِهِنَّ أَرْسَلَتْ إِلَيْهِنَّ وَأَعْتَدَتْ لَهُنَّ مُتَّكَأً وَآتَتْ كُلَّ وَاحِدَةٍ مِنْهُنَّ سِكِّينًا وَقَالَتِ اخْرُجْ عَلَيْهِنَّ فَلَمَّا رَأَيْنَهُ أَكْبَرْنَهُ وَقَطَّعْنَ أَيْدِيَهُنَّ وَقُلْنَ حَاشَ لِلَّهِ مَا هَذَا بَشَرًا إِنْ هَذَا إِلَّا مَلَكٌ كَرِيمٌ قَالَتْ فَذَلِكُنَّ الَّذِي لُمْتُنَّنِي فِيهِ وَلَقَدْ رَاوَدْتُهُ عَنْ نَفْسِهِ فَاسْتَعْصَمَ وَلَئِنْ لَمْ يَفْعَلْ مَا آمُرُهُ لَيُسْجَنَنَّ وَلَيَكُونًا مِنَ الصَّاغِرِينَ﴾ .

وهذا هو الفجور وفقدان الحياء بأسلوب فاضح مفضوح !! وهو من أنكر أساليب النساء الفواجر !! ومما يزيد الأسى والأسف أن النسوة طلبن من يوسف إجابة طلب مولاته !! ولست أدرى أين غاب حياء المرأة ؟ يومئذ !؟ فنظر بعيداً عنهن يوسف مشمئزاً .

﴿ قَالَ رَبِّ السِّجْنُ أَحَبُّ إِلَيَّ مِمَّا يَدْعُونَنِي إِلَيْهِ وَإِلَّا تَصْرِفْ عَنِّي كَيْدَهُنَّ أَصْبُ إِلَيْهِنَّ وَأَكُنْ مِنَ الْجَاهِلِينَ فَاسْتَجَابَ لَهُ رَبُّهُ فَصَرَفَ عَنْهُ كَيْدَهُنَّ إِنَّهُ هُوَ السَّمِيعُ الْعَلِيمُ﴾ وهكذا نرى هذه المرأة تكيد لنبى الله يوسف عليه السلام ثم لا تلبث أن تكيد لبنات جنسها فتوقعهن فيما وقعت فيه من هيام وغرام !! لقد تأكد العزيز من براءة يوسف عليه السلام . ولكنه أراد أن يستر شرفه المنهار . وهذا لا بد له من ضحية يلبسونها ثوب العار ظلماً وعدواناً . ليلقوا ستاراً كثيفاً على هذه الحادثة المؤسفة المثيرة المشينة !! ﴿ ثُمَّ بَدَا لَهُمْ مِنْ بَعْدِ مَا رَأَوُا الْآيَاتِ لَيَسْجُنُنَّهُ حَتَّى حِينٍ﴾ نعوذ بالله من الظلم

الممسوحة ضوئيا بـ CamScanner

والظالمين !! ودخل يوسف غياهب السجون وهذه مأساة جديدة تقع على عاتق هذا العفيف الشريف عليه السلام وصار يواسى المظلومين . ويعزى المصابين . ويقوم الليل فى ضراعة وانكسار وكان رحمة للمسجونين .

ملك كريم فى السجن :

لبث يوسف عليه السلام فى السجن بضع سنين . والتقى فى السجن مع مسجونين من رجال القصر دخلا معه !! هما ساقى العزيز وخبازه . واستمعا إلى تأويله الرؤيا واعجبا به أشد الإعجاب . كغيرهم من المسجونين بالحق أو بالباطل . ثم ظهرت خيانة الخباز وبراءة الساقى !! ثم طلب كل منهما منه تأويل رؤياه فقال له ساقى العزيز : ﴿ إِنِّي أَرَانِي أَعْصِرُ خَمْرًا ﴾ . وقال خبازه : ﴿ إِنِّي أَرَانِي أَحْمِلُ فَوْقَ رَأْسِي خُبْزًا تَأْكُلُ الطَّيْرُ مِنْهُ – ثم قالا – نَبِّئْنَا بِتَأْوِيلِهِ إِنَّا نَرَاكَ مِنَ الْمُحْسِنِينَ ﴾ فراح يوسف عليه السلام يقدم لهما قبل نصحهما إرشاده وتوجيهه النبوى الصادق الكريم قال :

﴿ قَالَ لاَ يَأْتِيكُمَا طَعَامٌ تُرْزَقَانِهِ إِلاَّ نَبَّأْتُكُمَا بِتَأْوِيلِهِ قَبْلَ أَنْ يَأْتِيَكُمَا ذَلِكُمَا مِمَّا عَلَّمَنِي رَبِّي إِنِّي تَرَكْتُ مِلَّةَ قَوْمٍ لَا يُؤْمِنُونَ بِاللَّهِ وَهُمْ بِالْآخِرَةِ هُمْ كَافِرُونَ وَاتَّبَعْتُ مِلَّةَ آبَائِي إِبْرَاهِيمَ وَإِسْحَاقَ وَيَعْقُوبَ مَا كَانَ لَنَا أَنْ نُشْرِكَ بِاللَّهِ مِنْ شَيْءٍ ذَلِكَ مِنْ فَضْلِ اللَّهِ عَلَيْنَا وَعَلَى النَّاسِ وَلَكِنَّ أَكْثَرَ النَّاسِ لاَ يَشْكُرُونَ ﴾ .

الممسوحة ضوئيا بـ CamScanner

﴿ يَاصَاحِبَيِ السِّجْنِ أَأَرْبَابٌ مُتَفَرِّقُونَ خَيْرٌ أَمِ اللَّهُ الْوَاحِدُ الْقَهَّارُ مَا تَعْبُدُونَ مِنْ دُونِهِ إِلَّا أَسْمَاءً سَمَّيْتُمُوهَا أَنْتُمْ وَآبَاؤُكُمْ مَا أَنزَلَ اللَّهُ بِهَا مِنْ سُلْطَانٍ إِنِ الْحُكْمُ إِلَّا لِلَّهِ أَمَرَ أَلَّا تَعْبُدُوا إِلَّا إِيَّاهُ ذَلِكَ الدِّينُ الْقَيِّمُ وَلَكِنَّ أَكْثَرَ النَّاسِ لَا يَعْلَمُونَ ﴾ ثم راح يفسر لكل منهما رؤياه فقال: ﴿ يَاصَاحِبَيِ السِّجْنِ أَمَّا أَحَدُكُمَا فَيَسْقِي رَبَّهُ خَمْرًا وَأَمَّا الْآخَرُ فَيُصْلَبُ فَتَأْكُلُ الطَّيْرُ مِنْ رَأْسِهِ قُضِيَ الْأَمْرُ الَّذِي فِيهِ تَسْتَفْتِيَانِ ﴾

وأخرج الساقى من السجن بعد ثلاث ليال . وعاد إلى خدمة الملك . وقال له يوسف قبل خروجه ، قل لسيدك : إن فى السجن سجيناً مظلوماً . ولكن الشيطان أنساه ذكر يوسف عند الملك . فظل منسياً فى سجنه . ﴿ فَلَبِثَ فِي السِّجْنِ بِضْعَ سِنِينَ ﴾ وعاتبه الله على لجوئه إلى المخلوقين !!

رؤيا الملك:

رأى الملك فى منامه رؤيا مفزعة . جمع لها رجال حاشيته ليعبروها . ﴿ وَقَالَ الْمَلِكُ إِنِّي أَرَى سَبْعَ بَقَرَاتٍ سِمَانٍ يَأْكُلُهُنَّ سَبْعٌ عِجَافٌ وَسَبْعَ سُنْبُلَاتٍ خُضْرٍ وَأُخَرَ يَابِسَاتٍ يَاأَيُّهَا الْمَلَأُ أَفْتُونِي فِي رُؤْيَايَ إِنْ كُنتُمْ لِلرُّؤْيَا تَعْبُرُونَ قَالُوا أَضْغَاثُ أَحْلَامٍ - تخاليط - وَمَا نَحْنُ بِتَأْوِيلِ الْأَحْلَامِ بِعَالِمِينَ ﴾ فاستشاط منهم غضباً وحنقاً .

الممسوحة ضوئيا بـ CamScanner

فقال الساقى . الرفيق السابق ليوسف فى السجن . ﴿ أَنَا أُنَبِّئُكُمْ بِتَأْوِيلِهِ فَأَرْسِلُونِ﴾ إلى السجن للقاء يوسف فارسلوه ليستعيره الرؤيا ففسرها له بدقة وإيجاز . فقصها على الملك كما سمعها . فاستراحت نفسه ﴿ وَقَالَ الَّذِي نَجَا مِنْهُمَا وَادَّكَرَ بَعْدَ أُمَّةٍ أَنَا أُنَبِّئُكُمْ بِتَأْوِيلِهِ فَأَرْسِلُونِ يُوسُفُ أَيُّهَا الصِّدِّيقُ أَفْتِنَا فِي سَبْعِ بَقَرَاتٍ سِمَانٍ يَأْكُلُهُنَّ سَبْعٌ عِجَافٌ وَسَبْعِ سُنْبُلَاتٍ خُضْرٍ وَأُخَرَ يَابِسَاتٍ لَعَلِّي أَرْجِعُ إِلَى النَّاسِ لَعَلَّهُمْ يَعْلَمُونَ قَالَ تَزْرَعُونَ سَبْعَ سِنِينَ دَأَبًا فَمَا حَصَدْتُمْ فَذَرُوهُ فِي سُنْبُلِهِ إِلاَّ قَلِيلاً مِمَّا تَأْكُلُونَ ثُمَّ يَأْتِي مِنْ بَعْدِ ذَلِكَ سَبْعٌ شِدَادٌ يَأْكُلْنَ مَا قَدَّمْتُمْ لَهُنَّ إِلاَّ قَلِيلاً مِمَّا تُحْصِنُونَ ثُمَّ يَأْتِي مِنْ بَعْدِ ذَلِكَ عَامٌ فِيهِ يُغَاثُ النَّاسُ وَفِيهِ يَعْصِرُونَ وَقَالَ الْمَلِكُ ائْتُونِي بِهِ﴾ .

فعاد الساقى إلى يوسف يبشره بخلاصة من السجن ويستدعيه للقاء الملك . لكن يوسف عليه السلام . أبى فك أغلاله إلا بعد إثبات براءته . وأنه لبث فى السجن بضع سنين بلا جريرة ولا جريمة !! حتى لا يكون الإفراج عنه عفواً . وحتى لا يتهم فقال للساقى :﴿ قَالَ ارْجِعْ إِلَى رَبِّكَ فَاسْأَلْهُ مَا بَالُ النِّسْوَةِ اللاَّتِي قَطَّعْنَ أَيْدِيَهُنَّ إِنَّ رَبِّي بِكَيْدِهِنَّ عَلِيمٌ﴾ . وبطبيعة الحال فى مقدمتهن امرأة العزيز . فلما سألهن . قلن حاشا لله ما علمنا عليه من سوء . وعندئذ - ﴿ قَالَتْ امْرَأَةُ الْعَزِيزِ الآنَ حَصْحَصَ الْحَقُّ أَنَا رَاوَدْتُهُ عَنْ نَفْسِهِ وَإِنَّهُ لَمِنَ الصَّادِقِينَ﴾ !! اعتراف ولكن بعد فوات الأوان !!

الممسوحة ضوئيا بـ CamScanner

بعد أن لبث يوسف عليه السلام فى السجن بضع سنين . نسأل الله السلامة !! .

يوسف عزيز مصر :

وانتهت ماساة السجن بعد سنوات . وخرج عليه السلام من سجنه إلى قصر الملك . فرحب به وأكرمه !! ثم قال يوسف عليه السلام : أيها الملك . لقد رأيت فى منامك سبع بقرات حسان كشف عنهن النيل وإذا به وقد غاض ماؤه . فخرج من أوحاله سبع بقرات عجاف . فمزقن السمان وأكلن لحومهن وحطمن عظامهن وعلى الرغم من وفرة ما أكلن . فما ملأن البطون .

وإذا بسبع سنابل خضر ممتلئات حباً . وإلى جانبهن سبع أخر يابسات بلا ماء ولا خضرة . وإذا بالريح تذرو الأوراق اليابسة على الخضراء . وتشعل فيها النار فتحيلها رماداً . وهذا جعلك أيها الملك تستيقظ قلقاً مذعوراً . فتعجب الملك قائلاً : كأنك أنت الذى رأى الرؤيا . فبم تشير أيها الصديق ؟ قال يوسف عليه السلام : أرى أيها الملك أن تزرع فى السنوات السبع القوادم . أوسع قدر من الأرض . ولو زرعت على حجر أو مدر لأسبغ الله عليه البركة والنماء . ونصح يوسف عليه السلام بإبقاء القمح فى سنابله ليسلم من التلف .. ﴿ إِلاَّ قَلِيلاً مِمَّا تُحْصِنُونَ ثُمَّ يَأْتِي مِنْ بَعْدِ ذَلِكَ عَامٌ فِيهِ يُغَاثُ النَّاسُ وَفِيهِ يَعْصِرُونَ﴾ . العنب والزيتون . ونحوهما . فقال الملك : من لى بتدبير هذا كله ؟ فقال له يوسف : اجعلنى أميناً - على خزائن الأرض إنى حفيظ عليم . فاستجاب الملك . ومكن الله ليوسف فى أرض مصر بعد آلام السجن وأصدر الملك

الممسوحة ضوئيا بـ CamScanner

قراره بتعيين يوسف عليه السلام لإدارة شئون الدولة . فسعدت به مصر ومن أمها من الناس أقصى غايات السعادة !

القاتل يستجدى الشهيد :

ودخلت سنوات القحط التى عمت مصر والشام . فأهلكت الزرع والضرع وتدفق الناس على مصر طلبا للعون . وكان فى جملة الممتارين اخوة يوسف . الذين ألقوه فى غيابة الجب قبل سنين !! ... فلما مثلوا بين يديه فى مذلة ومسكنة . وما كان ليخطر ببالهم إطلاقا . أن الغلام الصغير أخاهم الذى قادهم حسدهم إلى إلقائه فى الجب ثم بيعه فى سوق النخاسة . هو الآن رئيس الدولة فى مصر فاستحال عليهم أن يعرفوه . فقال لهم يوسف . ما أقدمكم بلادى ؟ فأدهشهم صولجان السلطة وقالوا . نريد الميرة أيها العزيز !! قال لهم : لعلكم عيون علينا !! قالوا معاذ الله !! فقال عليه السلام : من أين أنتم ؟ قالوا : من أرض كنعان . وأبونا نبى كريم !! فقال هل لأبيكم أولاد غيركم ؟

قالوا : كنا أيها العزيز اثنى عشر ولدا . فهلك أصغرنا فى البرية حيث أكله الذئب !! وكان أحبنا إلى أبينا . وبقى شقيقه الصغير . فأبقاه والدنا عنده ليتسلى به بعد موت أخيه !! فأكرمهم نبى الله عليه السلام وأنزلهم منازل كبار ضيوف الدولة !!

ووفى لهم كيلهم : وقال لهم إنى أريد التثبت من صحة قولكم : إن اباكم نبى : ﴿ وَجَاءَ إِخْوَةُ يُوسُفَ فَدَخَلُوا عَلَيْهِ فَعَرَفَهُمْ وَهُمْ لَهُ مُنكِرُونَ وَلَمَّا جَهَّزَهُم بِجَهَازِهِمْ قَالَ ائْتُونِي بِأَخٍ لَّكُم مِّنْ أَبِيكُمْ أَلَا

تَرَوْنَ أَنِّي أُوفِي الْكَيْلَ وَأَنَا خَيْرُ الْمُنزِلِينَ فَإِنْ لَمْ تَأْتُونِي بِهِ فَلاَ كَيْلَ لَكُمْ عِندِي وَلاَ تَقْرَبُونِ قَالُوا سَنُرَاوِدُ عَنْهُ أَبَاهُ وَإِنَّا لَفَاعِلُونَ ﴾ .

عجائب وغرائب :

ثم أمر يوسف عليه السلام بعض رجاله بأن يدسوا فى ميرتهم دراهمهم وسلعتهم التى دفعوها ثمناً لما أخذوا ... ترغيباً لهم فى العودة ومعهم أخوهم ، ولما وصلوا ديارهم . حيوا أباهم يوصف النبوة وأخبروه بما سألهم عنه عزيز مصر . وما أغدقه عليهم من إكرام . إلا أنه أنذرهم بحرمانهم من العودة إن لم يحضروا معهم أخاهم ليتثبت العزيز من صحة ما يقولون... ﴿ فَلَمَّا رَجَعُوا إِلَى أَبِيهِمْ قَالُوا يَا أَبَانَا مُنِعَ مِنَّا الْكَيْلُ فَأَرْسِلْ مَعَنَا أَخَانَا نَكْتَلْ وَإِنَّا لَهُ لَحَافِظُونَ قَالَ هَلْ آمَنُكُمْ عَلَيْهِ إِلاَّ كَمَا أَمِنتُكُمْ عَلَى أَخِيهِ مِنْ قَبْلُ فَاللَّهُ خَيْرٌ حَافِظًا وَهُوَ أَرْحَمُ الرَّاحِمِينَ وَلَمَّا فَتَحُوا مَتَاعَهُمْ وَجَدُوا بِضَاعَتَهُمْ رُدَّتْ إِلَيْهِمْ قَالُوا يَا أَبَانَا مَا نَبْغِي هَذِهِ بِضَاعَتُنَا رُدَّتْ إِلَيْنَا وَنَمِيرُ أَهْلَنَا وَنَحْفَظُ أَخَانَا وَنَزْدَادُ كَيْلَ بَعِيرٍ ذَلِكَ كَيْلٌ يَسِيرٌ ﴾ .

وذكرهم أبوهم بغدرهم السابق بيوسف عليه السلام . ثم فوض أمره وأمرهم إلى الله عز وجل ! دهش إخوة يوسف حين وجدوا بضاعتهم ردت إليهم . إن هذا لكرم بلا نظير من عزيز مصر .

شرط ونصيحة :

تعهد أبناء يعقوب بحفظ أخيهم كشرط أبيهم وأقسموا على أن

الممسوحة ضوئيا بـ CamScanner

يحفظوا أخاهم من كل سوء . فوافق والدهم وقال أبوهم ﴿ قَالَ لَنْ أُرْسِلَهُ مَعَكُمْ حَتَّى تُؤْتُونِي مَوْثِقًا مِنَ اللَّهِ لَتَأْتُنَنِي بِهِ إِلاَّ أَنْ يُحَاطَ بِكُمْ فَلَمَّا آتَوْهُ مَوْثِقَهُمْ قَالَ اللَّهُ عَلَى مَا نَقُولُ وَكِيلٌ ﴾ ثم وجه يعقوب عليه السلام هذه النصيحة النبوية الكريمة لأبنائه فقال بعد شرطه السابق : ﴿ وَقَالَ يَابَنِيَّ لاَ تَدْخُلُوا مِنْ بَابٍ وَاحِدٍ وَادْخُلُوا مِنْ أَبْوَابٍ مُتَفَرِّقَةٍ وذلك دفعاً للحسد وَمَا أُغْنِي عَنكُمْ مِنَ اللَّهِ مِنْ شَيْءٍ إِنْ الْحُكْمُ إِلاَّ لِلَّهِ عَلَيْهِ تَوَكَّلْتُ وَعَلَيْهِ فَلْيَتَوَكَّلْ الْمُتَوَكِّلُونَ ﴾ .

يوسف يستبقي أخاه :

ودخل إخوة يوسف مصر من أربعة مداخل . كما نصحهم أبوهم عليه السلام فأنزلهم يوسف عليه السلام كل اثنين منهم فى قصر . فبقى أخوهم الصغير فأنزله يوسف فى قصره بحجة امتلاء القصور بالضيوف فلما انفرد يوسف عليه السلام بشقيقه . فجر هذا السر العظيم ... !! ﴿ وَلَمَّا دَخَلُوا عَلَى يُوسُفَ آوَى إِلَيْهِ أَخَاهُ قَالَ إِنِّي أَنَا أَخُوكَ فَلاَ تَبْتَئِسْ بِمَا كَانُوا يَعْمَلُونَ﴾ فطلب الأخ الأصغر من أخيه عزيز مصر إبقاءه عنده خوفاً من كيد اخوته .

قال يوسف لا سبيل إلى ذلك إلا باتهامك بالسرقة !! قال : اصنع ما تشاء وأبقنى عندك !! فأمر يوسف رجاله أن يجعلوا صاع الملك المرصع بالذهب فى رحل أخيهم ... ففعلوا . ولما همت القافلة برحلة العودة ﴿ أَذَّنَ مُؤَذِّنٌ أَيَّتُهَا الْعِيرُ إِنَّكُمْ لَسَارِقُونَ﴾ . فأقبل

الممسوحة ضوئيا بـ CamScanner

الناس على رحال الملك قائلين : ﴿ مَاذَا تَفْقِدُونَ قَالُوا نَفْقِدُ صُوَاعَ الْمَلِكِ وَلِمَنْ جَاءَ بِهِ حِمْلُ بَعِيرٍ وَأَنَا بِهِ زَعِيمٌ﴾ .

فقال أبناء يعقوب . نحن تربية الأنبياء . ﴿ تَاللَّهِ لَقَدْ عَلِمْتُمْ مَا جِئْنَا لِنُفْسِدَ فِي الْأَرْضِ وَمَا كُنَّا سَارِقِينَ قَالُوا فَمَا جَزَاؤُهُ إِنْ كُنْتُمْ كَاذِبِينَ قَالُوا جَزَاؤُهُ مَنْ وُجِدَ فِي رَحْلِهِ فَهُوَ جَزَاؤُهُ كَذَلِكَ نَجْزِي الظَّالِمِينَ﴾ . جزاؤه أن يسترق . فهذه عقوبته فيما أوحى الله به إلى أبينا نبى الله يعقوب . وكذلك نعاقب السارقين !! وبحث رجال يوسف عن صواع الملك فى رحال إخوته العشرة ثم فى رحل أخيه الصغير ! وفقاً لأوامر يوسف عليه السلام . فألقوا طلبتهم فى رحل أخيه " تدبير محكم " !! فتهامس الأخوة فيما بينهم . يا له من لص كأخيه يوسف الذى سرق صنم جده لأمه وحطمه فأضحى جده بلا صنم يعبد من دون الله ! ... أقاويل !!

قال تعالى : ﴿ فَبَدَأَ بِأَوْعِيَتِهِمْ قَبْلَ وِعَاءِ أَخِيهِ ثُمَّ اسْتَخْرَجَهَا مِنْ وِعَاءِ أَخِيهِ كَذَلِكَ كِدْنَا لِيُوسُفَ مَا كَانَ لِيَأْخُذَ أَخَاهُ فِي دِينِ الْمَلِكِ إِلاَّ أَنْ يَشَاءَ اللَّهُ نَرْفَعُ دَرَجَاتٍ مَنْ نَشَاءُ وَفَوْقَ كُلِّ ذِي عِلْمٍ عَلِيمٌ قَالُوا إِنْ يَسْرِقْ فَقَدْ سَرَقَ أَخٌ لَهُ مِنْ قَبْلُ فَأَسَرَّهَا يُوسُفُ فِي نَفْسِهِ وَلَمْ يُبْدِهَا لَهُمْ قَالَ أَنْتُمْ شَرٌّ مَكَانًا وَاللَّهُ أَعْلَمُ بِمَا تَصِفُونَ﴾ وقد احتالت إحدى عمات يوسف لإبقائه عندها فضبطت لديه منطقة اسحق وكان يوزع الطعام على المحتاجين كظم يوسف غيظه من اخوته . الذين حاولوا قتله منذ عشرات السنين . وهم الآن

الممسوحة ضوئيا بـ CamScanner

يجرحون أمانته ظلما ويتهمونه بسرقة الصنم قديما . وهذه سرقة مباحة لأنها تحطيم للوثنية . وكظم نبي الله عيظة !! إنها أخلاق المرسلين عليهم الصلاة والسلام .

المستجدون الجاهلون :

ونظر الأخوة . فوجدوا أنفسهم قد أضاعوا عهد أبيهم بإضاعة أخيهم الصغير بعد أن أضاعوا يوسف منذ عشرات السنين . فقالوا ليوسف فى ضراعة وانكسار ﴿ يَاأَيُّهَا الْعَزِيزُ إِنَّ لَهُ أَبًا شَيْخًا كَبِيرًا فَخُذْ أَحَدَنَا مَكَانَهُ إِنَّا نَرَاكَ مِنَ الْمُحْسِنِينَ ﴾ فقد هلك أخوه من قبله بوقت طويل . وسيكون حزن أبينا قاتلاً إن أضعنا أخاه الصغير ! هذه المرة !! فقال يوسف عليه السلام وحجته قوية : كيف نعاقب البرىء ؟ ونسترقه ؟ ونبرىء من وجدنا متاعنا عنده ؟ ﴿ قَالَ مَعَاذَ اللَّهِ أَنْ نَأْخُذَ إِلاَّ مَنْ وَجَدْنَا مَتَاعَنَا عِنْدَهُ إِنَّا إِذًا لَظَالِمُونَ﴾ ونعوذ بالله من الظلم والظالمين . إنها حكمة النبوة !!

اعتزل اخوة يوسف بعيداً وقالوا . لقد رفض عزيز مصر مطلبنا وهو على حق . فمن يقبل عقاب البرىء وتبرئة الجانى؟

لا يفعله إلا ظلوم كفار . وهذا حاكم روحه العدالة والإنصاف !!

﴿ فَلَمَّا اسْتَيْأَسُوا مِنْهُ خَلَصُوا نَجِيًّا قَالَ كَبِيرُهُمْ أَلَمْ تَعْلَمُوا أَنَّ أَبَاكُمْ قَدْ أَخَذَ عَلَيْكُمْ مَوْثِقًا مِنَ اللَّهِ وَمِنْ قَبْلُ مَا فَرَّطْتُمْ فِي يُوسُفَ فَلَنْ أَبْرَحَ الأَرْضَ حَتَّى يَأْذَنَ لِي أَبِي أَوْ يَحْكُمَ اللَّهُ لِي وَهُوَ خَيْرُ الْحَاكِمِينَ﴾ .

الممسوحة ضوئيا بـ CamScanner

عزم الأخ الأكبر إلا يغادر أرض مصر وأن يبقى بجوار أخيه الصغير الذى ضبط الصواع فى رحله حتى يأذن له أبوه بالعودة أو يسوق الله فرجا لأخيه السجين الجديد . ثم قال لاخوته :

﴿ ارْجِعُوا إِلَى أَبِيكُمْ فَقُولُوا يَا أَبَانَا إِنَّ ابْنَكَ سَرَقَ وَمَا شَهِدْنَا إِلاَّ بِمَا عَلِمْنَا وَمَا كُنَّا لِلْغَيْبِ حَافِظِينَ﴾ رأينا وسمعنا بسرقة أخينا ونحن آسفون أشد الأسف ... وإن أردت يا أبانا الاستيثاق مما نقول : فابعث إلى مصر من يأتيك باليقين .

﴿ وَاسْأَلْ الْقَرْيَةَ الَّتِي كُنَّا فِيهَا وَالْعِيرَ الَّتِي أَقْبَلْنَا فِيهَا وَإِنَّا لَصَادِقُونَ﴾ .

وعاد الأخوة إلى أبيهم فقالوا يا أبانا إن ابنك سرق !! ونحن على ذلك من الشاهدين فلم يصدقهم أبوهم .

﴿ قَالَ بَلْ سَوَّلَتْ لَكُمْ أَنفُسُكُمْ أَمْرًا فَصَبْرٌ جَمِيلٌ عَسَى اللَّهُ أَنْ يَأْتِيَنِي بِهِمْ جَمِيعًا إِنَّهُ هُوَ الْعَلِيمُ الْحَكِيمُ ﴾ .

ورفض يعقوب الحديث مع أبنائه واتهمهم بإضاعة أخويهما .

وأبدى التياعاً متأججاً على يوسف منذ أكثر من ثلاثين عاما :

﴿ وَتَوَلَّى عَنْهُمْ وَقَالَ يَا أَسَفَى عَلَى يُوسُفَ وَابْيَضَّتْ عَيْنَاهُ مِنَ الْحُزْنِ فَهُوَ كَظِيمٌ﴾ .

بكى يعقوب على ابنيه أحر البكاء . وشوهدت حسراته تقطع الأكباد وابيضت عيناه من الحزن فهو كظيم ولله فى خلقه شئون

وقال له أولاده : ﴿ تَاللَّهِ تَفْتَأُ تَذْكُرُ يُوسُفَ حَتَّى تَكُونَ حَرَضًا أَوْ تَكُونَ مِنَ الْهَالِكِينَ﴾ . فنظر إليهم فى تأثر بالغ وقال عليه السلام :

﴿ إِنَّمَا أَشْكُو بَثِّي وَحُزْنِي إِلَى اللَّهِ وَأَعْلَمُ مِنَ اللَّهِ مَا لاَ تَعْلَمُونَ﴾

... والله نعم المولى ونعم النصير !! فالشكوى إليه لا إليكم وأنا واثق فى وعد الله . ويوسف لا يزال على قيد الحياة .

﴿يَابَنِيَّ اذْهَبُوا فَتَحَسَّسُوا مِنْ يُوسُفَ وَأَخِيهِ وَلاَ تَيْأَسُوا مِنْ رَوْحِ اللَّهِ إِنَّهُ لاَ يَيْأَسُ مِنْ رَوْحِ اللَّهِ إِلاَّ الْقَوْمُ الكَافِرُونَ﴾.

انطلق أبناء يعقوب فى رحلة جديدة إلى مصر . ودخلوا قصر عزيزها فى ضراعة المنكسر !! الملهوف أمام يوسف عليه السلام ! وما أن مثلوا بين يديه الكريمتين حتى قالوا : ﴿ يَاأَيُّهَا الْعَزِيزُ مَسَّنَا وَأَهْلَنَا الضُّرُّ وَجِئْنَا بِبِضَاعَةٍ مُزْجَاةٍ فَأَوْفِ لَنَا الْكَيْلَ وَتَصَدَّقْ عَلَيْنَا إِنَّ اللَّهَ يَجْزِي الْمُتَصَدِّقِينَ﴾ !! وحملوا معهم رسالة من أبيهم إلى عزيز مصر الجديد ! فرق يوسف عليه السلام لرسالة أبيه ولمذلة إخوته . فآثر أن يكشف لهم عن سوء طويتهم التى عاناها . فقال لهم :﴿ هَلْ عَلِمْتُمْ مَا فَعَلْتُمْ بِيُوسُفَ وَأَخِيهِ إِذْ أَنْتُمْ جَاهِلُونَ ﴾ أوجعتموه ضرباً . ولمزاً وغمزاً . وهو فى سن الطفولة أمانة فى أعناقكم . وألقيتموه فى الجب . وبعتموه فى سوق النخاسة عبداً رقيقاً . وألحقتم به وبأخيه وأبيه وأبيكم آلاماً مفجعة لمدة لا تقل عن ثلاثين عاماً . بل تزيد !! أيفعل الحقد كل هذا ؟ أهذه هى رحمة الأخوة بأخيهم وأبيهم ؟ ألا سحقاً للحسد !! وبعداً للحاسدين !!.

الممسوحة ضوئيا بـ CamScanner

دهشة مذهلة :

فلما سمعوا هذا الكلام علتهم الدهشة واستولى عليهم الهول . يا سبحان الله إن يوسف الذى ألقى فى الجب . ثم بيع فى سوق العبيد إنه الآن . رئيس الدولة فى مصر . إنه عزيز مصر . وسبحان من يرفع أقواماً ويخفض آخرين . وعندئذ قالوا " لرئيس مجلس الوزراء " فى ذهول بين !! ﴿ قَالُوا أَئِنَّكَ لأَنْتَ يُوسُفُ قَالَ أَنَا يُوسُفُ وَهَذَا أَخِي قَدْ مَنَّ اللَّهُ عَلَيْنَا إِنَّهُ مَنْ يَتَّقِ وَيَصْبِرْ فَإِنَّ اللَّهَ لاَ يُضِيعُ أَجْرَ الْمُحْسِنِينَ﴾ .

لقد انهمرت دموع إخوته فى أسى عميق . وكادت أحزانهم وأفراحهم تقتلهم وتمزقت أنفسهم بين الفرح والترح ﴿ قَالُوا تَاللَّهِ لَقَدْ آثَرَكَ اللَّهُ عَلَيْنَا وَإِنْ كُنَّا لَخَاطِئِينَ ﴾ فيما ألحقناه بأبينا وأخينا وأنفسنا وأسرتنا من آلام جسام ، وظهرت رحمة النبوة فعفا عنهم : ولم تكن دموعهم هذه المرة بدموع التماسيح !! ﴿ قَالَ لاَ تَثْرِيبَ عَلَيْكُمْ الْيَوْمَ يَغْفِرُ اللَّهُ لَكُمْ وَهُوَ أَرْحَمُ الرَّاحِمِينَ ﴾ ثم سألهم عن أبيه ومدى تأثير المأساة على نفسه . قالوا له : ابْيَضَّتْ عَيْنَاهُ مِنَ الْحُزْنِ فَهُوَ كَظِيمٌ . فقال : ﴿ اذْهَبُوا بِقَمِيصِي هَذَا فَأَلْقُوهُ عَلَى وَجْهِ أَبِي يَأْتِ بَصِيرًا وَأْتُونِي بِأَهْلِكُمْ أَجْمَعِينَ﴾ .

وسلام على المرسلين فى كل وقت وحين !! وحملت نسمات الصبا ريح قميص يوسف إلى أبيه يعقوب عليهما السلام بفضل

الممسوحة ضوئيا بـ CamScanner

الله تعالى : ﴿ وَلَمَّا فَصَلَتِ الْعِيرُ قَالَ أَبُوهُمْ إِنِّي لَأَجِدُ رِيحَ يُوسُفَ لَوْلاَ أَنْ تُفَنِّدُونِ ﴾ قالوا له . تلك تخاريف أرذل العمر .

شيخ مسن لا يزال يفكر في فتى أكله الذئب منذ أكثر من ثلاثين عاماً ويهيىء له خياله المتهالك أنه ما يزال على قيد الحياة بل ويشم ريح ملابسه . يا للعجب !! ﴿ قَالُوا تَاللَّهِ إِنَّكَ لَفِي ضَلاَلِكَ الْقَدِيمِ ﴾ منذ عشرات السنين . وتلك ضلالات الشيخوخة !! أين أنت من يوسف ؟ إن تشبثك بحبه . وظنك في لقائه . أضعفا فكرك فما تتصور حتى الآن أن الذئب قد افترسه . وأن يوسف قد هلك مع الهالكين !! منذ طفولته قبل عشرات السنين !! وما هي إلا سويعات حتى وصلت القافلة من مصر تحمل قميص يوسف . وجاءت البشائر . ﴿ فَلَمَّا أَنْ جَاءَ الْبَشِيرُ أَلْقَاهُ عَلَى وَجْهِهِ فَارْتَدَّ بَصِيرًا قَالَ أَلَمْ أَقُلْ لَكُمْ إِنِّي أَعْلَمُ مِنَ اللَّهِ مَا لاَ تَعْلَمُونَ ﴾ وانهمرت دموع الأخوة ومعاصريهم أسفاً على أفاعيل الضغائن والأحقاد في نفوس البشر !! ﴿ قَالُوا يَاأَبَانَا اسْتَغْفِرْ لَنَا ذُنُوبَنَا إِنَّا كُنَّا خَاطِئِينَ قَالَ سَوْفَ أَسْتَغْفِرُ لَكُمْ رَبِّي إِنَّهُ هُوَ الْغَفُورُ الرَّحِيمُ ﴾ .

لقاء الكرماء :

يقول *السيوطي* رحمه الله تعالى : متحدثاً عن تشريف الله تعالى لمصر بحياة الأنبياء فيها :-

الممسوحة ضوئيا بـ CamScanner

قد حل مصر على ما قد رووا خبر ... من الصين زادوا مصر تأنيسا

فها هو يوسف والأسباط مع أبيه ... وحافداً وخليل الله إدريسا

لوطاً وأيوب ذا القرنين خضر سليما ... ن أرميا يوسف هرون مع موسى

وآمنه سارة لقمان آسية ... ودانيال شعيباً مريما عيسى

شيثاً ونوحاً وإسماعيل قد ذكروا ... لا زال من ذكرهم ذا المصر مأنوسا

ومضى يعقوب وبنوه وزوجه وأسرته في رحلة إلى مصر. لمقابلة ولده رئيس الدولة المصرية عزيز مصر يوسف عليه وعلى آبائه السلام، وعلى حدود مصر الشرقية أقام يوسف وجيشه ورجاله لأيام ينتظرون قدوم أبيه يعقوب عليه السلام. وشرفت مصر بيوسف ويعقوب عليهما السلام كما شرفت بالمرسلين عليهم السلام مراراً وتكراراً.

وانهمرت الدموع من المآقي وماجت النفوس من المآسي. وتمازجت الأفراح مع الأتراح وضم يوسف أبويه إلى صدره وقال لهما ولوفدهما الكريم: ﴿ ادْخُلُوا مِصْرَ إِنْ شَاءَ اللَّهُ آمِنِينَ وَرَفَعَ أَبَوَيْهِ عَلَى الْعَرْشِ وَخَرُّوا لَهُ سُجَّدًا وَقَالَ يَاأَبَتِ هَذَا تَأْوِيلُ رُؤْيَايَ مِنْ قَبْلُ قَدْ جَعَلَهَا رَبِّي حَقًّا وَقَدْ أَحْسَنَ بِي إِذْ أَخْرَجَنِي مِنَ السِّجْنِ وَجَاءَ بِكُمْ مِنَ الْبَدْوِ مِنْ بَعْدِ أَنْ نَزَغَ الشَّيْطَانُ بَيْنِي وَبَيْنَ إِخْوَتِي إِنَّ رَبِّي لَطِيفٌ لِمَا يَشَاءُ إِنَّهُ هُوَ الْعَلِيمُ الْحَكِيمُ ﴾.

الممسوحة ضوئيا بـ CamScanner

إنها نعم تتوالى ولعل الله تعالى يعين على شكرها . وبشكرها تدوم النعم .

﴿ رَبِّ قَدْ آتَيْتَنِي مِنْ الْمُلْكِ وَعَلَّمْتَنِي مِنْ تَأْوِيلِ الأَحَادِيثِ فَاطِرَ السَّمَاوَاتِ وَالأَرْضِ أَنْتَ وَلِيِّ فِي الدُّنْيَا وَالآخِرَةِ تَوَفَّنِي مُسْلِمًا وَأَلْحِقْنِي بِالصَّالِحِينَ﴾ .

ثم يقول الله تعالى لخاتم النبيين ﷺ :﴿ ذَلِكَ مِنْ أَنْبَاءِ الْغَيْبِ نُوحِيهِ إِلَيْكَ وَمَا كُنتَ لَدَيْهِمْ إِذْ أَجْمَعُوا أَمْرَهُمْ وَهُمْ يَمْكُرُونَ وَمَا أَكْثَرُ النَّاسِ وَلَوْ حَرَصْتَ بِمُؤْمِنِينَ وَمَا تَسْأَلُهُمْ عَلَيْهِ مِنْ أَجْرٍ إِنْ هُوَ إِلاَّ ذِكْرٌ لِلْعَالَمِينَ﴾ .

لقد كان يوسف كريم النفس . صبوراً . راضياً وكان أبوه عليهما السلام صابراً محتسباً . كريماً وما أحسن قول خاتم النبيين ﷺ : "***الكريم ابن الكريم ابن الكريم ابن الكريم***" .

يوسف بن يعقوب بم اسحق بن إبراهيم . عليهم وعلى خاتمهم أزكى الصلاة وأتم التسليم .

قال تعالى :

﴿ لَقَدْ كَانَ فِي قَصَصِهِمْ عِبْرَةٌ لأُوْلِي الأَلْبَابِ مَا كَانَ حَدِيثًا يُفْتَرَى وَلَكِنْ تَصْدِيقَ الَّذِي بَيْنَ يَدَيْهِ وَتَفْصِيلَ كُلِّ شَيْءٍ وَهُدًى وَرَحْمَةً لِقَوْمٍ يُؤْمِنُونَ﴾ أ . هـ .

صدق الله العظيم . !!!

الممسوحة ضوئيا بـ CamScanner